قراءة أدونيس للتّراث بين رؤيا الثبات ورؤيا التّحول

راوية يحياوي

جامعة تيزي وزو – الجزائر –

في طرحه لمسألة الأصل والأساس داخل (NIETZSCHE) المفتاح: **لقد تبنّي " نيتشه "** منظومة الفكر المعاصر **الموقف الجينيالوجي** الذي عمد إلى التّحرر من الاعتقاد بأنّ ((أهم ما في الأشياء وأكثرها قيمة يكمن في بداياتها وأصولها...))(1)

وبهذا **الموقف الجينيالوجي** الحريص على عدم تمجيد الأصول والبدايـــات كان التّأسيـــس والسّعي وراء هدم البعد الميتافيزيقي للأصل وكان إلغاء تمجيد الأصول والتّهليل بها لأن الميتافيزيقا هي التّي بنت اعتقادها على أنّ الأشياء كاملة في بدايتها وأنّ الأصل مكمن حقيقة الأشياء

ومثلما عمدت الجينيالوجيا إلى عدم إقامة الأسس، فأقلقت الميتافيزيقا فيما اعتقدته ساكنا وعملت على تنويع المحدّد وتفتيت الموحّد بتعدّديته عمد أدونيس إلى **خلخلة الماهيات الثّابتة** ومسّ المبادئ الأساسية المؤسّسة للفكر العربي القديم فهو جينيالوجي نيتشوي فعندما أعلن نيتشه **"موت الإله"** حيث رأى أنّه ((من الأفضل ألاّ يكون هنالك إله إطلاقا، من الأفضل أن يقرّر المرء

مصيره بنفسه، من الأفضل أن يكون بمحنونا أن يكون هو نفسه الله.)) (2)

عمد أدونيس إلى ضرورة عزل الدّين عن السّياسة والفكر وعن الفنّ بمختلف تشـــكلا تـــه وانتصر للإنسان - كما يراه- فالتقى أدونيس بنيتشه في نقط كثيرة منها ((**مهاجمة الإيديولوجيات** المختلفة جميعها في وقت واحد (..) وتمجيد الواقعة الإنسانية في الأنسية وهو استرجاع المضامين البشرية ...))(3)

1 – التّحول في النّظرة إلى التّراث (من القداسة إلى المساءلة)

لقد مرّت الحياة العربيّة على مرحلة كانت تنظر فيها إلى تراثها بمختلف أشكاله من نافذة **سكونية** تتبنّى التّقديس والتّبجيل وكانت تطلّ على الموروث باعتباره الكمال كله وعلى أنّه كلّ موحدّ حتّى مع اختلاف مكوّناته ومن بين الجهود التّي اعتمدت مساءلة هذا التّراث جهود أدونيس الذي قدّم عام 1973 دراسة فكرية خصّ بها الثقافة العربية لينال بها شهادة دكتوراه دولة في الآداب الموسومة بـ: **الثابت والمتحوّل بحث في الإتباع والإبداع عند العرب**، حيث عرض فيها الأصول ثم تأصيل الأصول ثمّ صدمة الحداثة، وأشرف على الدّراسة الأب بولس نويا اليسوعي وصدرت في ثلاث مجلّدات وفي طبعات منها الطبعة التّي صدرت في أربع مجلدّات ويحتاج هذا **التّحول** في قراءة التّراث إلى قراءة القراءة لبحث التحولات **الإستمولوجية** التّي يستند إليها هذا **الوعي** المغاير

(الجديد) والموقف العملي وعندما يقول أدونيس في كتابه الصّادر مؤخّرا "المحيط الأسود": ((تتحرّك الدّراسات الحديثة في قفص من الأفكار المسبّقة، الجاهزة وهي أفكار تبسيطية، تلفيقية، وتوفيقيّة ذلك أنّها تستعيد الكتابات التي كتبت حول "الأصول" بأسئلتها وأجوبتها، ولا تطرح على "الأصول" أسئلتها الجديدة الخاصّة فلسنا نجد، مثلا، دراسات تتساءل حول "الأصول" نفسها وتسأل هذه "الأصول" نفسها (باستثناء دراسات قليلة، رفضت، وهمشت وعزلت ونبذت...)) (4)

فيشير هذا الاستثناء إلى دراسته الفكرية ((الثّابت والمتحوّل))

فكيف سأل أدونيس الثقافة العربية القديمة

2 – منهج قراءة أدونيس للتّراث: (في الثابت والمتحوّل)

في البدء نشير إلى أنّ مدوّنة أدونيس –**في دراسته**– **من داخل التّراث متنوّعة** فقد شملت قديم الثقافة العربية من مختلف النوّاحي السّياسية والاجتماعية والاقتصادية والفلسفية والكلاميّة والفقهيّة والصّوفية والشعرية والثورية الخ وكانت **مصادر المدوّنة متنوّعة** من التّاريخ (الخلافة والسّياسة والحركات الثورية) ومن الدّين (القرآن والسّنة والفقه) ومن الأدب (الشّعر والنثر والنقد) ومن الفكر (الحركات الفكرية) ومن اللّغة (**المدارس اللّغوية**) ولقد اعتمد تحليل الأحداث وتقديم القرائن النّصية من مختلف هذا المصادر أملت عليه هذه المدوّنة **مجموعة من العناصر** سطر مناقشتها وفق

منهج سنتعرّض إليه فيما بعد ففي الأصول أي المجلّد الأوّل **تناول أصول الاتباع أو الثبات** وفيها تعرضّ إلى الإتباعية في الخلافة والسّياسة، ثمّ الإتباعية في السّنة والفقه، ثمّ الإتباعية في الشّعر والنّقد وبعدها تناول **أصول الإبداع أو التّحول** ودرس الحركات الثّورية ثمّ الحركات الفكرية ثمّ الحركات الشعرية أمّا في الجزء الثاني (المجلّد الثاني) **تأصيل الأصول** فقد تناول في القسم الأول **تأصيل الإتباع أو الثبات** أين قرأ الشافعي وتأصل الأصول الدينية — السّياسية ثم قرأ تأصيل الأصول البيانية — الشعرية عند الأصمعي والجاحظ وفي القسم الثاني تأصيل الإبداع أو التحول تعرّض فيه إلى الحركات الثورية من ثورة الزّنج والحركة القرمطية ثّم ناقش المنهج التجريبي وإبطال النّبوة ثمّ درس الحقيقة والشريعة وفق ثنائية الباطن والظاهر وبعدها درس الاتباع والحداثة في الشعر عند الشاعرين أبي نواس وأبي تمام أمّا في القسم الثالث: **جدل الاتباع والإبداع أو القديم والمحدث** فقد تناول فيه معنى القدم ومعنى المحدث ثمّ تتبّع الحركة اللّغوية كما تتبّع الحركة النقدية الشعرية عند كل من الصّولي والآمدي

أمّا في المجلّد الثالث **صدمه الحداثة** فقد تناول مجموعة من المباحث هي: من القدم إلى الحداثة، من الخطابة إلى الكتابة، العرب/الغرب، البارودي أو النّهضة / الحداثة، معروف الرّصافي أو الحداثة/ "الموضوع"، جماعة الدّيوان أو الحداثة / "الذّاتية"، خليل مطران

أو"حداثة" السّليقة / المعاصرة، حركة أيولو أو الحداثة /النّظرية، الكلام " القديم " والكلام "الحديث"، الامتداد / الارتداد، جبران خليل جبران أو الحداثة /الرّؤيا، الارتداد/ التنميط، شكل بنية الإيصال، صدمة الحداثة، الحداثة/ التّجاوز، بيان الكتابة

ولقد اعتمد أدونيس في دراسته هذه على ((منهج وصفـــيّ تاريخـــي موضـــوعـــي ومحايد....)) ﴿5﴾ فيظهر الجانب الوصفي في الكشف ((عن مسيرة الصّراع بين منحي الثّبات **ومنحى** التّحول..)) ﴿6﴾ حيث رصد لنا الإنسان العربي في تاريخيّته وتتبّع بالوصف علاقاته فيقول: ((عرضت لما تمكن تسميّته بتأريخ ظواهري (فينومينولوجي) للثّقافة العربية، كما تكشف عنه الوقائع والأفكار... وأشدّد هنا على الظّواهرية لأنّني اقتصرت على دراسة الظّواهر الثّقافية بذاتها، في معزل عن قاعدتها المادّية فقد عرضت لجدلية هذه الظّواهر فيما بينها (...) ويعود ذلك إلى أنّني **لا أقصد أن أدرس نشوء الثقافة العربية وعواملها** وآلية العلاقة بينها وبين القاعدة المادية، وإنّما قصدت أن أدرس الثقافة كظاهرة قائمة بذاتها...))﴿7﴾ وبهذا ابتعد عن متابعة نشأة الثقافة لأنّ هذه النّظرة لا تقدّم قيمة معرفية فاعلة وخلاّقة وإذا كان مهمّا أن ندرس الشروط التي نشأت فيها ظاهرة ما (سياسية أو اجتماعية أو أدبية) فالأهم الأهمّ هو معرفة كنه وماهية ومعنى تلك الظّاهرة،

ونتزاح عن متابعة شروطها لنركز على معرفة بؤرة القوّة التي تملكها هذه الظاهرة فتسطّر وجهتها....

و من أمثله ذلك في الدّراسة: أثناء تحليله للخلافة، لم يعمـــد إلى تحليـــل الشـــروط السّياســـــية والاقتصاديـــة والاجتماعية لقيام الخلافة بل عمد وبحث معنى الخلافة بمتابعة بعض المواقف التاريخية وبعض القرائن التي تجعلنا نتوصّل إلى المعنى الحقيقي للخليفة لا كما تحتفظ به الذاكرة الجماعية وفي تناوله للشعر المحدث لم يبحث في عوامل نشأته وأسبابه ومصادره بل **تتبّع معناه كظاهرة** مستجدّة تحتاج إلى تحديد وبحث لها عن معنى ولقد طرح المنهج المتّبع في الدّراسة عدّة أسئلة على الثقافة العربية وهي تدور في معظمـــها في فلك فهم المعاني والتّنقيب عنها، منها: ((ما الإنسان العربي (المسلم) كيف فكّر ويفكّر (...) ما العقل ما الفكر ما الشعر ما اللّغة هل الإنسان في وعيه ذات فاعلة، فرد خلاّق، أم مجرّد كائن مكلّف؟...)) ﴿8﴾ وفحوى كلّ هذه الأسئلة هو **الفهم**: فهم الرّؤيا العربية من داخل الرّؤية العربية وبالتحديد ((أن أفهم من داخل الرؤيا العربية الإسلامية اللّه والكون والإنسان، والتي تقوم عليها، وتصدر عنها الثقافة العربية وأن أفهم بالتّالي معنى هذه الثّقافة ودلالتها..)) ﴿9﴾

ولقد اعتمد أدونيس في منهجه على مجموعة من **الآليات الإجرائية** كالتوفيق والتّفسير والمقاربة والتّحليل واستند إلى **مجموعة من**

المصطلحات تتكرّر في ثنايا الدّراسة منها: الثّابت / المتحوّل، الإتباع / الابداع القدم / الحداثة، تأصيل، الأصول، الخطابة / الكتابة، المعاصرة الامتداد / الارتداد، الرّؤيا، الحداثة، التّجاوز الخ..
ويمكن للدّارس أن يتوجّه في متابعة خلفيات وحمولات هذه المصطلحات

3 – منهج قراءة التّراث: بين "الثابت" و"المتحوّل"

لقد حدّد أدونيس هذين المصطلحين قائلا: ((قد عنيت بـــ **"الثابت" ما يبني أحقّيته على ماض يفسّره** تفسيرا خاصّا، معيّنا ويعزل أو "ينفي" كلّ من لا يقول قوله وعنيت **"بالمتحوّل" ما يرفض أحقّية هذا "الثّابت"** استنادا إلى تفسير خاص، معين لذلك الماضي عينه، عاملا بواقعيّة كونه خارج السّلطة، على تحويل المجتمع في اتّجاه ما يهدف إليه.)) 10)

ولقد استند أدونيس في قراءته للتّراث على ثنائية " الثابت" و"المتحوّل" حيث تشكّل الثّابت" من **البنية الدّينية القارّة** (العمود الفقري) الذي شكّل المجتمع العربي ووجّه كمال الثابت والقياس يكون دائما على هذا الكامل (القرآن)، فهذا الثابت هو الأصل (فالقرآن واحد) شامل وكامل ولا يمكن الخروج عنه، فتشكّلت **التّبعية** لهذا النّموذج ورسخت في ذهنية العربي صورة الثابت وكيف يعيش تابعا له فلحقت هذه التّبعية كلّ الثّقافة فرأى أدونيس أنّ الثقافة العربية في مجملها، وبشكلها الموروث، مبنيّة على المنحى

الدّيني فهي **ثقافة اتباعية** (خاضعة لضرورة احتذاء النمّوذج) وأيّ محاولة للخروج عن هذا النموذج يعتبر خرقا وبدعة، لهذا **رفض** الفكر الاتّباعي أيّ ابداع وأدانه بعنف **ومثلما** تشكّلت التبعية الدّينية تشكّلت التّبعية الفكرية فتعطّلت الذات الإنسانية العربية عن الابداع الخّلاق وبقيت تدور في الابداع التبعي فلقد **نشط البعد الديني** في الفكر العربي وسيّر أولوية وأحقّية الثابت وعمدت السّلطة في الإسلام إلى تنشيط **فهم " الواحد " الديني** الذّي أنتج أيضا " **الواحد" السّياسي** والذي أوجد " **الواحد" الشّعري وأي** خروج عن هذا " الواحد" مرفوض فـــ ﴿﴿ مادام الوحي هو بداية الزّمن ونهايته في آن فإنّ العلاقة التي تربط الفرد بالدين هي الامتثال والاستعادة **على الإنسان دينيا، أن يظلّ وفيّا للسّابق،** وما دام هذا الوفاء مقنّنا بتشريعات، جمعيّة فإنّ ملامح الفرد تطمس لصالح الأمّة وهذا كلّه هو ما كرّس **مفهوم الأصل الكامل** الذّي حمى مفهوم التّقليد..﴾﴾(11)

ولقد تتبع أدونيس كيفيه انتقال التّصور الديني التبعي إلى مختلف البنى التي تشكّل الوجود العربي من التفكير السّياسي إلى الاجتماعي إلى الثقافي وكشف عن تسرّب المفاهيم الدّينية المؤسّسة للمجتمع العربي إلى مختلف المجالات **كمفهوم الأصل** الذي ارتبط بالكمال وتوصّل إلى أنّ ﴿﴿ التّقليد في أساسه دينيّ، غير أنّه اتّخذ بعدا سياسيا وأدبّيا، شأن المفهومات الدّينية﴾﴾ (12) وهذا ما يفسّر

أيضا أساسيات النّظرة الشعرية عند العرب التّي رأت في الشعر الجاهلي النموذج الكامل **ومطلق الشعر** ورفضت أي خروج عن " **عمود الشّعر**" وربطوا الخلق بالذات الإلهية فارتبطت بالقدم مجموعة من الأساسيات منها الأصل، الثّابت، الكامل، الجوهري، القائم بذاته وارتبطت بالحديث مجموعة من المصطلحات التي توحي بالنّقص الدّائم: المحدث، الفرع، النّاقص، العارض، القائم بغيره الخ...

ولقد وقف أدونيس عند **مآزق تكريس ثقافة الاّتباع** بسيطرة الثّابت وتعطيل التحول فتأسّست نزعة المغالاة في الفصل بين الإنسان والله، التي غيّبت الإنســـان العربي عن ذاتيّته *** فدينيّا هـــو موجـــود في الله ودنيويّا موجود في الدّين وداخل الجماعة (الأمّة والدّولة والأسرة) والخطورة في الاتباعية، تظهر في تغييب **حرّية الابداع ووقف عند الفكر الماضوي** الذي يكرّس التّعلق بالمعلوم ورفض المجهول والذي يعمد إلى تفضيل الخطابة على الكتابة لأنّها الأقرب إلى محاكاة النّطق الإلهي أو الوحي وبهذا فـــ ﴿﴿ قد بدت الثّقافة العربّية لأدونيس في شكلها المسيطر على الأقل، ثقافة تقليد وإتباع فلم يحدث أبدا لهذه الثّقافة أن تجاوزت ما تمّ رسمه لها من إطارات مألوفة أو تمّ وضعه من حدود مقرّرة سلفا وهكذا، ظلتّ ترسف في أغلال التّقليد والجمود قرونا طويلة.....﴾﴾ (13) ولقد رفض أدونيس هذه الثقافة الاّتباعية في **مواطن كثيرة**

من دراسته لهذا تتبّع الطرف الثّاني وهو " المتحوّل " في الثقافة العربية وحاول رصد النّواة التّحولية عند الحركات الثورية والحركات الفكرية الرّفضية كالثورة العقلية عند المعتزلة والتيارات الباطنية من إمامية وصوفية، لأنّها أقامت مفهومات جديدة لطبيعة العلاقة بين الله والإنسان وتشكّلت "الذات" داخل منظومة جديدة تؤسّس للاختلاف (من النّقل إلى العقل) عند المعتزلةومركزية " الذات " عند الصّوفية التّي ألغت نموذجيّة الأصل، وتبنت فاعليّة الخلق، ثمّ إنّ فكرة الإتحاد بالله ألغت تلك الهوّة الكبيرة بين الله كمتـــعالي والإنسان "العبد" قغيّبت "الأصل الكامل".

ومثلما تناول **بذور التّحول في الفكر الدّيني** تناول **بذور التّحـــول في الإبداع العربي** فتناول شعـــر أبي **نواس وشعر أبي تمام ووقف يشير إلى التّحوّلات** الحاصلة في القصيدة العربية عندهما كأن يقول: ﴿﴿هذا يعني أنّ أبا نوّاس لا يرث بل يؤسّس، ولا يكمّل، بل يبدأ، إنّه لا يعود إلى الأصل، وإنّما يجد هذا الأصل في حياته ذاتها وبدءا من تجربته...))﴿14﴾.

و يذهب أدونيس إلى تأويل الخمرة في شعر أبي نوّاس ويقيم المقارنة بينه وبين شعراء قصيدة " الأصل" فيصل إلى مجموعة من النّتائج أهمّها أن أبا نواس شاعر أوّلية التّجربة.

ويتناول شعر أبي تمام من زاوية أوّلية اللّغة الشعرية فيقول عنه: ((إنّما يريد أن يدفعنا لكي نرى أشياء الطبيعة في اندفاعها وتفجّرها

الأصليّين، أو في بكارتها وهكذا يقيم علاقة جديدة بين الإنسان وبينها، وبالتالي بين الإنسان والإنسان وحيث تقوم **علاقة جديدة** تزول الثّرثرة القديمة وتزول المجانية التي ترافقها وهكذا تدخل إلى الكلام شرارة لغوية جديدة....))﴿15﴾

ويخلص إلى نتيجة مفادها أن شعر أبي نّواس وأبي تمام **شعر الكشف** الذّي يتوجّه إلى المستقبل لا شعر النّسيج على المنوال الذي يتوجّه إلى " الأصل" مثلما توصّل في شعر الحداثة إلى أنّ جبران خليل جبران كاتب رؤيوي **والرّؤيا كشف وإبداع** لا نسج على المنوال، ودرس عنده **الجنون** الذي فيه ((تتغيّر علاقات الإنسان مع الكون وأوّل ما يتغيّر منها علاقته مع الله (...) نفي كامل للعلاقة التّقليدية بين الله والإنسان وتأسيس لعلاقة جديدة..)) (16)

واحتفى أدونيس برفض جبران للشريعة من خلال رموز كتاباته وفي هذا الرّفض إلغاء للثّبات ونوّه بأهمّية جبران الأولى في ((أنّه سلك طريقا لم تعرفها الكتابة العربيّة، في أنّه **هدم الذاكرة وتبنّى الإشارة** فكان بذلك بداية.....)) ﴿17﴾

4 – " الثابت" و"المتحوّل" بين التأسيس والوهم

يعتبر كتاب " الثّابت والمتحوّل " قراءة ومساءلة لماضي الثقافة العربية وكأنّ به يقدّم لنا **شهوة الأصل** بوصفها قيمة جوهرية جرى طمس جوهريّتها وإفساد أصالتـــها بأن تحكمّـــت بالإبداع والفكـــر والتّاريخ حتّى اختلط مفهوم الأصل مع مفهوم

التّقليد وانطمس الجوهر ومهّمة أدونيس المعلنة هي الشّروع بـــ: ﴿﴿**قراءة جديدة لما مضى** " وهي قراءة تعنى إعادة التّملك المعرفي لأصولنا الثقافية بعامّة ولأصولنا الشّعرية بخاصّة﴾﴾ ﴿18﴾

فقد حاول أن يقبض على الألوان القائمة في الثقافة العربية فأسماها بالثّابت وأضاء ما يمكن إضاءته وأسماه بالمتحوّل واستطاع أدونيس أن يحقّق **مزيّة**، قال بها المشرف على دراسته، في رسالة كتبها إليه يقول فيها "أنا أظنّ أنّك **أدّيت** للعالم الإسلامي **خدمة ايجابية** حيث أظهرت أن مستقبل الثقافة العربّية متوقّف على تحوّل طبيعة العلاقة بين الثّابت والمتحوّل، بين الذهنية الاتباعية والذهنية الإبداعية...." ﴿19﴾

وأثار موضوع التّقليد والحداثة أسئلة كثيرة، يعود الفضل فيها إلى جهد أدونيس في هذه الدّراسة فظهرت أقلام فكرية ناقشت التقليد والاتباعية من زوايا أخرى كما ناقشت الحداثة في حمولاتها الثقافية العربيةفتتجلّى المزية في **بداية مساءلة متعاليات** الثّقافية العربية إلا أنّ قراءة أدونيس للتّراث وفق ثنائية " الثابت"و"المتحوّل" **أوقعته في وهم الموضوعية** فقد وقع في **ذاتية** متحيّزة أبعدته عن الموضوعّية العلمّية فمع أنّه كان يستعين بعيّنات نصية فيما يذهب إليه من أحكام، فيؤكّد بأفكار وحركات ومواقف مستمدّة من التّراث في حدّ ذاته إلاّ أنّه يسقط أفكاره على العينات المقدّمة، ففي تحليله لشخصّية أبي نوّاس، أسقط عليه ما كان يرجوه فيه، ففي اشتهاره بالمجون، فقد كان مأخوذا بالخطيئة، وانتهاك المحرم فذهب أدونيس

يؤول مجونه في أنه الرغبة في **الخروج عن الشريعة** ويستند هذا التأويل **إلى خلفيّة** يريدها الدّارس، والتّي سنراها فيما بعد، وحتّ في تحليله لأدب جبران، فقد ركّز فيه على أنّه أدب رفض الظّاهر أو الشريعة والتبشير بالباطن فلقد كان مهوسا بالإبداع الذي فيه رائحة تجاوز الشّرع، لأن الفكرة المركزية التّي تسيّر فكر أدونيس، فسيّرت أمثلته، مفادها، أنّ **الشرّع يخالف طبيعة الإنسان** فلا يمكن أن يكون هو الغاية في الوجود فأراد أن يخلق مركزية إنسانية بدل المركزية الشّرعية فلهذا احتفى بالباطنية والصّوفية وتأخذه هذه المركزية بعيدا إلى أن يتصوّر أباذرّ الغفاري فيقول: ﴿﴿ كان يبشّر بأخلاق تتجاوز الفريضة إلى ما هو أشمل منها وأغنى، كان بتعبير آخر، يبشر بأخلاق تتجاوز الشّرع إلى الإنسان فالشّرع ساكن أمّا الإنسان فمتحرّك....﴾﴾ ﴿20﴾

و قد أستوحى هذا التّصور من مقالة لأبي ذرّ – أوردها الدّارس – والتي قال فيها ﴿﴿لا ترضوا من النّاس بكفّ الأذى حتّ يبذلوا المعروف، وقد ينبغي للمؤدّى الزّكاة ألاّ يقتصر عليها حتّى يحسن إلى الجيران والإخوان ويصل القرابات﴾﴾ فالواضح أنّ هذه المقولة تنصّب في صميم الشرع، ولا يوجد فيها ما هو تجاوز للشرّع، فموقف أبي ذرّ موقف تقدّمي فكري يرعى مصلحة الإنسان، وهذه هي **التّقدمية الإسلامية** التّ ترعى الإنسان أليس في هذا المثال تأكيد على أنّ الثّابت "المقدّس" يحوى أفكارا تتجاوز الماضي والواضح أنّ أدونيس عندما يعثر على النقط المضيئة في الشّرع يتراح بها لينسبها لفكر آخر.

ويلاحظ المتتّبع للقرائن، والأمثلة التاريخية التي اعتمدها الكاتب، **اجتماع مالا يجتمع**، حيث يجمع اتّجاهات وأفكار متناقضة في سياق واحد كإدراجه للخوارج والشيعة*****مع بعض - أثناء حديثه عن التّحول - مع أنّهما مختلفان في الوجهة والأفكار إلى جانب جمعه الاتّجاهات الثورية، التّي تختلف في منطلقاتها، كجمعه بين المعتزلة التي تعلي من شأن العقل ***** والمتصوّفة التّي تعطّل العقل وتبيّن دور القلب ******وينبني مبرّرالجمع بين هذا التناقض، في أنّ اختلاف مناهج هؤلاء من جهة، يمثل لقاءهم في أنّهم جميعا خرجوا على الثبات و﴿﴿ كلّ خروج على "الثّبات": هو — في نظر الباحث " تحوّل " بالضّرورة...﴾﴾ ﴿21﴾

وتقع المغالطة عندما يضع الصوّفية في نقيض مع الشّرع فـــ "أدونيس الشّاعر- لا المفكّر-هو الذي يتعامل مع التّصوف وبالتّالي فهو ينظر إليه من منظور شعري- إنّ ثنائية الشّريعة — الحقيقة عند المتصوّفة ليست ثنائية انفصالية كما يتصوّرها المؤلف﴾﴾﴿22﴾ كأنّ بالباحث يريد أن يأخذ الصّوفية العربية إلى مصاف الصّوفية الإلحادته ﴿23﴾

والسّؤال الذّي يطرح نفسه، ما علاقة أدونيس بالتّراث إنّها علاقة الإتصال من أجل الإنفصال فما **عودته للتّراث إلاّ ليتجاوزه**، فلقد سيطر الثابت على التّراث، في حين أن أدونيس مفتون بالمتحوّل ثمّ إنّ التّراث محدّد زمنيا بالماضي **وأدونيس متأهب للسفر إلى المستقبل**

الهوامش

* الجينيالوجي: نسبة إلى " جينيالوجيا" وهو دراسة النّشأة والتكوين لإثبات النّسب و الوقوف عند الأصل

يراجع: عبد السّلام بن عبد العالي، أسس الفكر الفلسفي المعاصر، محاورة الميتافيزيقا، دار توبقال للنّشر ط2، المغرب، 2000، ص 25.

و نشير إلى أنّ نيتشه كتب كتابا بعنوان: " جينيالوجيا"

و لقد ترجم أسامة الحاج مصطلح الجينيالوجيا "ب" النّسابة" وقال أنّه علم يبحث في أصل أنساب العائلاتي راجع: جيل دولوز، نيتشه والفلسفة، ترجمة أسامة الحاج، المؤسّسة الجامعية للدّراسات والنّشر والتّوزيع، ط2، لبنان، 2001، ص5

(1) عبد السّلام بنعبد العالي، أسس الفكر الفلسفي المعاصر ص 26

(2) نيتشه، زرادشت، القسم الرّابع " المعتزل.

(3) جيل دولوز، نيتشه والفلسفة ص

** من بين الجهود التّي غيّرت رؤية قراءة التّراث، وزحزحت نظرة القداسة إليه، كتاب طه حسين " في الشعر الجاهلي" وهذا الكتاب أثار جدلا كبيرا أثناء صدوره لأنّه بني على الشّك في وجود الأشعار الجاهلية التي هي ديوان العرب.

(4) أدونيس، المحيط الأسود، دار السّاقي، ط1، لبنان، 2005، ص 18

مجلّة فصول الهيئة المصرية العامّة للكتاب! (5) محمد خلاف، نزعة أدونيس الإنسانية: إستعارة شعرية مضلّلة

العدد 59، ربيع 2002، ص 251.

(6) أدونيس علي أحمد سعيد، الثابت والمتحوّل بحث في الاتباع والابداع عند العرب، 1 الأصول دار الفكر للطباعة والنّشر والتوزيع، ط5، لبنان، 1986، ص 26

(7) المرجع نفسه ص **24**

(8) المرجع نفسه ص 5

(9) المرجع نفسه، الصّفحة نفسها

(10) المرجع نفسه ص 2

(11) خالد بلقاسم، أدونيس والخطاب الصّوفي، دار توبقال للنّشر، ط1، المغرب، 2000 ص67.

(12) أدونيس، الثابت والمتحوّل 1 الأصول ص 70

*** يراجع أدونيس، الثابت والمتحوّل، 1 الأصول ص 5

(13) محمد خلاّف، نزعة أدونيس الإنسانية..ص 252

(14) أدونيس علي أحمد سعيد، الثابت والمتحوّل بحث في الاتباع والابداع عند العرب، 2 تأصيل الأصول، دار الفكر لطباعة والنّشر والتوزيع، ط5، لبنان 1986، ص 109

(15) المرجع نفسه ص 116

(16) أدونيس علي أحمد سعيد، الثابت والمتحوّل بحث في الاتّباع والابداع عند العرب، 3 صدمة الحداثة، دار الفكر للطباعة والنّشر والتوزيع، ط5، لبنان 1986، ص 172

(17) المرجع نفسه ص 210

(18) عبد الله محمد الفزامي، ما بعد الأدونيسّية (شهوة الأصل)، مجلّة فصول الهيئة المصرية العامّة للكتاب،

العدد، المجلّد 16، العدد الثاني، خريق 1997، ص11

(19) أدونيس، الثابت والمتحوّل، 1 الأصول، ص 16

(20) المرجع نفسه ص 178

**** يراجع، أدونيس، الثابت والمتحوّل 1 الأصول ص 184 وما بعدها

***** يراجع، أدونيس، الثابت والمتحول، 2 تأصيل الأصول ص 87

******يراجع، المرجع نفسه ص 99

(21) نصر حامد أبوزيد، إشكالية القراءة وآليات التّأويل، المركز الثّقافي العربي، ط2، بيروت، 1992،

ص 248

(22) المرجع نفسه ص 250

(23) ربط أدونيس الصّوفية بالسّوريالية، وهي رغبة منه في إفراغ الصّوفية من حمولاتها الدّينية ومن مرجعيّتها الدّينية أيضا